ABES13

[**فَوَائِد مِنْ حَدِيث (مَنْ يُرِد اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّين)**](http://www.al-badr.net/detail/HBj9SRIENsTr)

الحمدُ لله رب العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله ؛ صلَّى اللهُ وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . اللهم علِّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علَّمتنا وزدنا علمًا ، وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين . أما بعد:

فهذه ساعة طيبة ولحظات كريمة ألتقي أخوةً كرامًا ، زادهم الله كرمًا وفضلًا وتوفيقًا ونُبلا في هذا المكان الطيب المبارك ، طيَّب الله أعمالنا وأوقاتنا أجمعين وأصلح لنا شأننا كله إنه تبارك وتعالى سميع قريب مجيب .

ثم حديثي إلى إخواني : تأملات وفوائد لأحد الأحاديث العظيمة المروية عن نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم في فضل العلم وفضل حملته ؛ ففي الصحيحين عن معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)) . هذا الحديث العظيم -معاشر الإخوة الكرام- ينبغي أن نتأمله جيدًا ؛ فإنه حديثٌ عظيم الشأن جليل القدر كبير الأهمية .

وفي هذا الحديث حث على العلم والتعلم والتفقُّه في دين الله تبارك وتعالى ، وبيانٌ لفضل من يوفق لسلوك هذا السبيل . وفي الحديث فوائد كثيرة جدا أشير إلى ما تيسر لي من هذه الفوائد :

* الأولى : أن الأمور كلها بمشيئة الله ، ولا يقع في هذا الكون إلا ما أراده الله سبحانه وتعالى ؛ فالفضل فضله والمنُّ منُّه والعطاء عطاؤه {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}[هود:88] ، وهذا جانب مهم في العقيدة ؛ أن الأمر لله وبيده جل وعلا ، ولن تؤتَ شيء من العلم أو العمل إلا إن وفقك الله ومنَّ عليك بذلك ، فهو الذي يعلِّم العبد ما لم يعلم ، وهو الذي يوفق العبد للعمل بما تعلم من العلم ، فالأمر كله بيده ، قد قال عز وجل: {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}[النساء:113] ، {الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ}[الرحمن:1-2] ، فهذا فضل الله سبحانه وتعالى ؛ ولهذا ينبغي على طالب العلم أن يستحضر هذا المعنى وهذه العقيدة المهمة جدًا في هذا الباب وفي كل بابٍ من أبواب الدين ، بل في كل باب من مصالح العبد الدينية والدنيوية .
* هذا يسوق إلى الفائدة الثانية من هذا الحديث : أهمية التوكل على الله والاستعانة به جل وعلا ، كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : ((احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ)) ، وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ : ((إِنِّي لأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ، لاَ تَدَعَنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)) ؛ فطالب العلم بحاجة في طلبه للعلم إلى معونة الله له في الطلب ، وإلى معونة الله له سبحانه وتعالى في العمل بما تعلَّم ، وإلى معونة الله له على الثبات على هذا العلم والعمل الذي وفقه الله إليه ، وإلى معونة الله له ليسْلم من الصوارف وهي كثيرة جدًا في طريق الإنسان وسيره إلى الله جل في علاه.
* الفائدة الثالثة: أهمية الدعاء في حياة طالب العلم واللجوء الدائم إلى الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الأمر بيده وطوع تدبيره سبحانه وتعالى ، فحاجة العبد إلى الدعاء حاجة ماسَّة ، وقد قال أحد التابعين -لعله مطرِّف بن الشخير- قال : «تأملت الخير فرأيت الخير كثير -الصلاة خير ، والصيام خير ، والبر خير- الخير كثير، ووجدت أن ذلك كله بيد الله ، فأيقنت أن الدعاء مفتاح كل خير» ؛ ولهذا ينبغي على العبد أن يُكثر سؤال الله سبحانه وتعالى ولاسيما أن يعلِّمه ما ينفعه . وكلكم يعلم أن من هدي نبينا عليه الصلاة والسلام كما في السنن من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنه يقول كل يوم إذا أصبح بعد السلام من صلاة الصبح : ((اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا ، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا)) ، وهذه الثلاث التي جمعها في دعائه في أول يومه هي أهداف المسلم في كل أيامه ، وبدءُ النبي عليه الصلاة والسلام بالعلم مقدمًا على غيره في هذه الدعوات يفيد أن العلم هو أولى أولويات المسلم في يومه وفي مقدمته ، فمن الخسارة العظيمة أن يمر على المرء اليوم من أيامه ولا يكون له نصيب من العلم ، هذه خسارة عظيمة أن يمر عليه يوم من أيامه ولا يكون له حظ ونصيب من العلم الشرعي . فهذا الحديث يفيد أن طلب العلم هدف يومي للمرء -هذه فائدة مهمة - ليس في طلب العلم إجازة صيفية ولا إجازة ربيعية ولا غيرها من الإجازات ، هو هدفٌ يومي يصاحب المسلم في كل أيامه ، ونفسه في جهاد على قدر ما يحصِّل ، ويتفاوت طلاب العلم والمجدون فيه تفاوتًا عظيما في هذا الباب .
* الفائدة الرابعة من فوائد هذا الحديث العظيم : أن سلوك المسلم لطريق طلب العلم وانشراح صدره في هذا الطريق وإقبال نفسه على التعلم والتفقه في دين الله سبحانه وتعالى من أمارات الخير وعلاماته ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)) ، فإذا وجد المرء نفسه منشرحة الصدر مقبِلة محبة للعلم ، إذا سمع بحلقة علم فرح ، وإذا ذُكر له مجلس من مجالس العلم سُر بذلك وبادر ، وإذا ذكر له كتاب نافع من كتب العلم أقبل عليه ، نفسه منشرحة محبة للعلم للتعلم هذا من أمارات الخير ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)) .
* والفائدة الخامسة هي مفهوم المخالفة لذلك وهي : أنَّ انصراف النفس والعياذ بالله عن العلم وكراهيتها لمجالس العلم وانقباضها من مجالس العلم هذا ليس من أمارات الخير ولا من أمارات التوفيق ، إذا رأى المرء من نفسه أنها منقبضة ومستوحشة من مجالس العلم ونافرة منها ولا تميل إليها فهذا ليس من أمارات التوفيق ولا من أمارات إرادة الله سبحانه وتعالى الخير بعبده ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)).
* الفائدة السادسة من فوائد هذا الحديث : أن قوله عليه الصلاة والسلام ((يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)) يتناول العلم الشرعي في أصوله وفروعه ، لأن اشتُهر عند الناس أن الفقه هو الأحكام الصلاة والصيام والحج ، حتى إذا قيل كتب الفقه يراد بها كتب الأحكام ، بينما قوله في هذا الحديث ((يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)) تدخل فيه العقيدة دخولًا أوليا ، كتب الاعتقاد تدخل دخولًا أوليا ، لأن العقيدة هي أعظم الفقه في الدين ، والاعتقاد هو أعظم الدين وأجلُّه ، بل هو الفقه الأكبر . فقوله عليه الصلاة والسلام ((مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)) ليس خاصًا في الأحكام بل يتناول تناولا أوليًا العقيدة . ومما يوضح ذلك حديث جبريل المشهور قال : «أَخْبِرْنِى عَنِ الإِسْلاَمِ» ثم قال «أَخْبِرْنِى عَنِ الإِيمَانِ» ثم قال «أَخْبِرْنِى عَنِ الإِحْسَانِ» فبين ذلك كله ثم في تمام الحديث قال: ((فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)) ، فالدين هو الإسلام بأعماله ، والإيمان بعقائده ، والإحسان بإتقان العبد في عبادته لربه وتقربه إليه سبحانه وتعالى جل في علاه بما يرضيه من صالح الأعمال وسديد الأقوال.
* الفائدة السابعة من فوائد هذا الحديث: أهمية التفقه الذي هو الفهم ، ليس العلم مجرد حفظ للآيات أو للأحاديث ، بل هو فهمٌ لها ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ }[محمد:24] ، وقال: { أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ }[المؤمنون:68] ، وقال : {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}[ص:29] . فالفهم هو الذي يثنى على المرء إذا وُفق له ، والناس يتفاوتون في الفهم والفقه في دين الله سبحانه وتعالى تفاوتًا عظيما، ولهذا قد يحمل شخص علمًا ويقصُر عن فهمه ، و((رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ)) ، قد يذكر طالب علم لعالم حديثًا يكون هذا العلم لا يعرفه لكن يستظهر منه فوائد لم تكن في ذهن ذاك الذي كان حافظا لذلك الحديث ، فهذا الحديث يفيد أهمية التفقه في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام والفهم لمعانيها ، ليس أيضا مجرد الفقه والفهم معزولًا عن العمل بل فقهًا يثمر عملًا وطاعة وهذا هو المعني بالحديث ، المعني بالحديث أن يفقه دين الله فقهًا يثمر بصاحبه عملًا بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل ويثمر دعوةً كما في الآية الكريمة في قول الله سبحانه وتعالى: {فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ }[التوبة:122] ، فربط الفقه بالنذارة ، والنذارة مترتبة على عمل الشخص ؛ فهو يفقه أولا ، يتعلم فيفقه فيعمل فيُنذر ؛ وهذا هو التدرج في العلم والتلقي والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بذلك .

الحاصل أن هذا حديث عظيم جدًا في هذا الباب ؛ باب الفقه في دين الله سبحانه وتعالى ، ومن أهم ما يكون في هذا الباب قصد التقرب إلى الله ، لأنه ما تُقرب إلى الله سبحانه وتعالى بمثل طلب العلم على المعنى الذي تقدم ذكره ؛ أن يتعلم ليفقه دين الله ليفهم شرع الله ، ثم ليعمل بما تعلم ، ثم ليُنذر ويبين لغيره ما تلقاه من العلم .

والتوفيق بيد الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له ، نسأله جل في علاه أن يوفقنا أجمعين لكل خير ، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح ، وأن يجمعنا دائما على الحق والهدى ، وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين . اللهم آتِ نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، نسأله جل في علاه أن يصلح ذات بيننا ، وأن يؤلف بين قلوبنا ، وأن يخرجنا من الظلمات إلى النور بمنِّه وكرمه إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل .

شاكرًا لجميع الإخوة الكرام إتاحتهم هذه الفرصة لي أن أسعد بلقائهم والجلوس معهم ، ونسال الله أن يجعل هذا المجلس مجلسًا مقربا إلى الله سبحانه وتعالى. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .